جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

محاضرة دراسات ادبية قديمة : مرحلة الماجستير

مدرس المادة : أ.د. اسماء صابر جاسم

عنوان المحاضرة : الاغراض الشعرية المستحدثة في العصر العباسي

المحاضرة : السابعة

الاغراض الشعرية المستحدثة في العصر العباسي

المبحث الأول: بوادر التجديد في العصر العباسي

المطلب الأول: الأغراض الشعرية القديمة وتطورها في العصر العباسي

كان الشعر في الجاهلية انطلاقة النفس في شتى أحوالها المكانية و الزمنية، يرافق النفس في نزعاتها الفطرية و تطلعاتها القبلية ولما كان العهد الأموي انتقل الشعر من عالم النفس الفردية والقبلية إلى عالم السياسة العامة والسياسة الحزبية, يتلون بألوانهما ويخضع كل شيء لهما إلاّ ما انفلت منه في البوادي القاسية ,والحواضر المبعدة عن سلطان السياسة .

وما إن أطلّ العهد العباسي بحضارته الجديدة ,ودكتاتوريته الكسروّية واعتماده على النظم الفارسية في الحكم ,وابتعاده عن التقاليد العربية ,.وانصرافه عن العصبية القبلية , حتى أغضى عن سياسة الشعر والشعراء

وعندما خرج الشعر عن الدولة العصّبية والسياسة تحوّل إلى زينة اجتماعية ,أو وسيلة كسب وتعبير عن واقع الحياة وآمال الشعب وآلامه ,وبهذا انقلب الشعر في العهد العباسي انقلابا شديدا من حيث العامل والغاية وإن كانت له منزلة رفيعة وتذوّق شديد

حيث أن الأغراض القديمة كالمدح والرثاء والغزل والهجاء والوصف ظلت هي الأغراض الأساسية للشعر في هذا العصر لكن الشعراء وجدوا فيها مجالا واسعا للتطور والتجديد.

فالمدح كان غرضا شعريا معروفا منذ الجاهلية ,وأصبح في العصر العباسي ذا طابع تكسبي ،حيث ارتبطت به معان خاصة كالشجاعة والكرم والنبل وقد حافظ الشعراء العباسيون على هذه الصفات لكنهم توسعوا في الصفتين الأوليتين خاصة فشقوا لهم فيها معاني وطرائف جديدة تتناسب والروح الجديدة ثم أضافوا إلى ذلك صفات أخرى ألحوا عليها , وأهم هذه الصفات الجديدة التركيز على المعاني الإسلامية في مدح الخلفاء والوزراء على نحو لم يعهد عند الشعراء السابقين عليهم, من ذلك قول البحتري في المتوكل :

يا باني المجد الذي *** قد كان قوض فانهدم

اسم لدين مـحمـــد *** فإذا سلمت فقد سلم

وأما الرثاء وهو مدح الميت فقد ظل التركيز فيه كالمد على المعاني الإسلامية , ولعل أجود ذلك الرثاء الذي وجهه الشعراء في أبطال المسلمين الذين استشهدوا من أجل أن يظل الإسلام سيدا , ومنه قصيدة أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي التي منها قوله:

كذا فليجل الخطب وليفد الأمر **** فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمـال بعـد محمـــد **** وأصبح في شغل عن السفر السفر

وشهد العصر العباسي رثاء جديدا هو رثاء المدن المنكوبة .ونذكر منها النكبة التي لحقت ببغداد البصرة زمن المعتمد إذ أوقع بها الزنج سنة ٦٥٨ فقتلوا من أهلها عددا عظيما وأحرقوا أكثر مبانيها وقد رثاها ابن الرومي بقصيدة مشهورة منها قوله:

ذاد عن مقتلي لذيـذ المنـــام **** شغلـها عنه بالدموع السجام

أى نـوم من بعد ما انتهك الزنج *** جـــهـــارا محـارم الإســلامأما الهجاء وأهم ما يلاحظ فيه هو تحويله عن الطريقة التقليدية القديمة التي تميل إلى الجد والتي تنعي على المهجو تخلقه في ميادين الشجاعة والكرم وحماية الجار وأشباه ذلك من الفضائل البدوية إلى طريقة حديثة أهم مظاهرها التهكم بالمهجو وإضحاك الناس منه , ومثاله هجاء دعبل جاره الذي سرق ديكه وأكله هو وعياله وأنكر ذلك فشهّر به دعبل في المسجد بهذه الأبيات الساخرة المضحكة المتحركة:

أسر المؤذن صالح وضيوفه *** أسر الكميّ هفا خلال الماقط

بعثوا عليه بنيهم وبناتهـم *** من بين ناتفة وآخر سامـطوقد تنوع الهجاء وكان أبلغ ما فيه الهجاء السياسي الذي أبدع في رسم معالمه ابن المعتز الذي يصور ما أصاب الدولة وتسلط الأتراك على مقاليد الحكم وفي ذلك يقول:

هذا كتــاب سير الإمـــام *** مهذبـا من جوهـــر الكـلام

قام بأمر الملك لما ضاع *** وكان نهبا في الورى شاعا

-وأما الشعر الوصفي كان يصور الحياة البدوية في الشام والجزيرة فلما دخلت مظاهر الحضارة الفارسية تناول الشعراء مناهج الحياة الجديدة مثل مجالس اللهو والبساتين والحدائق وأنواع الفرش والرياش وحياة الجواري والمطاعم والملابس ووصف الغناء ورحلات الصيد بكل أنواعه, ووصف الغناء ووصف النفس البشرية وتحليل أعمالها الظاهرة واستنباطها، فتكلموا في الصبر والمكر، ووصفوا شعور السكران والغضبان والمهزوم والمتكبر... كما فعل كل من أبي فراس وابن الرومي توسعوا في وصف الخمر والمبالغة في ذكر مجالسها وأنواعها إلى أن استقلت الخمريات بقصائد كاملة وكان الرائد في ذلك أبو نواس حيث جاهر بالخمر والدعوة إليها فيقول:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة * فإن طال هذا عنده قصر العمر

أما شعر الغزل فقد تأثر بالتيارات الأجنبية الوافدة و التي انتشرت في البيئة و المجتمع العباسي وتبدو سمات التأثر واضحة في شيوع نزعة المجون و الإباحة ،حيث برز منذ العصر الجاهلي في اتجاهين رئيسيين هما : الغزل الحسي والغزل العفيف.

*الغزل الحسي(الماجن): ازداد شيوعا في العصر العباسي الأول , وكثر أتباعه الذين أفرطوا في اللهو والمجون لكثرة الجواري والإماء , ووفرة مختلف أسباب القصف والعبث مما جعل شعرهم يعكس مدى التدهور الأخلاقي في تلك البيئة المريضة، وأمثالهم : أبو نواس , بشار بن برد , مطيع بن إياس والحسين بن الضحاك ومسلم بن الوليد وغيرهم.

حسبي وحسب التي كلفت بها *** مني ومنها الحديث والنظر

أو قبلـة في خـلال ذاك ولا *** بأس إذا لم تحلـل الأزر

*الغزل العفيف : وهو عكس التيار الأول في مضمونه واتجاهاته، نبتت جذور شجرته في الجاهلية ثم ترعرعت في العصر الأموي , فلما كان العصر العباسي الأول الذي يندر أن تعثر فيه على شاعر عفيف وطاهر , انحصرت بقايا هذا الفن في شعر خمسة من الشعراء ذوي الشهرة في هذا الغرض وهم:العباس بن الأحنف زعيم هذا الفن وعكاشة بن عبد الصمد العميّ, والمؤمل ابن جميل الشاعر عم مروان بن أبي حفصة , وابن رهيمة وعلي بن أديم الكوفي .

وشعر الغزل في العصر العباسي تأثرت لغته بالحياة الاجتماعية المتحضرة الجديدة , وبالثقافة الشائعة آنذاك , مما جعل الشعراء يستخرجون للورود والرياحين لغة خاصة كانوا يخاطبون بها أحباءهم، وكذلك ما كان شائعا عندهم من "اللبان والتفاح والريحان والسواك نذكر من ذلك مطيع بن إياس:

خـافي الله يا بربر *** لقد أفسدت العسكر

بريح المسك والعنبر***وظبي شادن أحور

الخمريات:

الخمرة من الفنون التي شاع أمرها وسرت نشوتها في نفوس الكثير من أبناء المجتمع العباسي عامتهم وخاصتهم , وإذا كان الجاهليون والأمويون قد سبقوا إلى ذكرها والتغني بها في أشعارهم إلا أن ذلك لم يكن يقصد لذاته فهي تأتي عندهم في مقدمات قصائدهم بشكل عرضي على خلاف العباسيين الذين قصدوها لذاتها.

*يعتبر أبو نواس من أبرز شعراء هذا العصر المتخصصين والمسرفين في حبها , وإذا كان الأعشى والأخطل قد سبقاه إليها إلا أنهما لم يفردا لها بابا قائما بذاته , لأن الخمرة عندهما كانت وسيلة وليست غاية على خلاف النواسي , فإنها كل شيء عنده في الحياة ولاشيء يشغل باله غيرها , مما جعله يتخصص فيها ويفرد لها بابا مستقلا كاد أن يقصر شعره كله عليه.

ملامح التجديد في الخمريات:

-1التعمق في معانيها.

٢- استقلالها ضمن قصائد بدلا من بقائها كغرض من أغراض القصيدة التقليدية .

-وأما الشعر الوصفي كان يصور الحياة البدوية في الشام والجزيرة فلما دخلت مظاهر الحضارة الفارسية تناول الشعراء مناهج الحياة الجديدة مثل مجالس اللهو والبساتين والحدائق وأنواع الفرش والرياش وحياة الجواري والمطاعم والملابس ووصف الغناء ورحلات الصيد بكل أنواعه, ووصف الغناء ووصف النفس البشرية وتحليل أعمالها الظاهرة واستنباطها، فتكلموا في الصبر والمكر، ووصفوا شعور السكران والغضبان والمهزوم والمتكبر... كما فعل كل من أبي فراس وابن الرومي توسعوا في وصف الخمر والمبالغة في ذكر مجالسها وأنواعها إلى أن استقلت الخمريات بقصائد كاملة وكان الرائد في ذلك أبو نواس حيث جاهر بالخمر والدعوة إليها فيقول:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة * فإن طال هذا عنده قصر العمر

أما شعر الغزل فقد تأثر بالتيارات الأجنبية الوافدة و التي انتشرت في البيئة و المجتمع العباسي وتبدو سمات التأثر واضحة في شيوع نزعة المجون و الإباحة ،حيث برز منذ العصر الجاهلي في اتجاهين رئيسيين هما : الغزل الحسي والغزل العفيف.

***الغزل الحسي(الماجن):** ازداد شيوعا في العصر العباسي الأول , وكثر أتباعه الذين أفرطوا في اللهو والمجون لكثرة الجواري والإماء , ووفرة مختلف أسباب القصف والعبث مما جعل شعرهم يعكس مدى التدهور الأخلاقي في تلك البيئة المريضة، وأمثالهم : أبو نواس , بشار بن برد , مطيع بن إياس والحسين بن الضحاك ومسلم بن الوليد وغيرهم.

حسبي وحسب التي كلفت بها *** مني ومنها الحديث والنظر

أو قبلة في خلال ذاك ولا *** بأس إذا لم تحلل الأزر

***الغزل العفيف :** وهو عكس التيار الأول في مضمونه واتجاهاته، نبتت جذور شجرته في الجاهلية ثم ترعرعت في العصر الأموي , فلما كان العصر العباسي الأول الذي يندر أن تعثر فيه على شاعر عفيف وطاهر , انحصرت بقايا هذا الفن في شعر خمسة من الشعراء ذوي الشهرة في هذا الغرض وهم:العباس بن الأحنف زعيم هذا الفن وعكاشة بن عبد الصمد العميّ, والمؤمل ابن جميل الشاعر عم مروان بن أبي حفصة , وابن رهيمة وعلي بن أديم الكوفي . وشعر الغزل في العصر العباسي تأثرت لغته بالحياة الاجتماعية المتحضرة الجديدة , وبالثقافة الشائعة آنذاك , مما جعل الشعراء يستخرجون للورود والرياحين لغة خاصة كانوا يخاطبون بها أحباءهم، وكذلك ما كان شائعا عندهم من "اللبان والتفاح والريحان والسواك نذكر من ذلك مطيع بن إياس:

خافي الله يا بربر *** لقد أفسدت العسكر

بريح المسك والعنبر***وظبي شادن أحور

الخمريات:

الخمرة من الفنون التي شاع أمرها وسرت نشوتها في نفوس الكثير من أبناء المجتمع العباسي عامتهم وخاصتهم , وإذا كان الجاهليون والأمويون قد سبقوا إلى ذكرها والتغني بها في أشعارهم إلا أن ذلك لم يكن يقصد لذاته فهي تأتي عندهم في مقدمات قصائدهم بشكل عرضي على خلاف العباسيين الذين قصدوها لذاتها.

*يعتبر أبو نواس من أبرز شعراء هذا العصر المتخصصين والمسرفين في حبها , وإذا كان الأعشى والأخطل قد سبقاه إليها إلا أنهما لم يفردا لها بابا قائما بذاته , لأن الخمرة عندهما كانت وسيلة وليست غاية على خلاف النواسي , فإنها كل شيء عنده في الحياة ولاشيء يشغل باله غيرها , مما جعله يتخصص فيها ويفرد لها بابا مستقلا كاد أن يقصر شعره كله عليه.

ملامح التجديد في الخمريات:

-1التعمق في معانيها.

-2استقلالها ضمن قصائد بدلا من بقائها كغرض من أغراض القصيدة التقليدية.

-(1) حياة عبيد ، محاضرات في الأدب العباسي ، المرجع السابق.

*لقد اتسع المعجم الفني لشعر الخمر وازداد ثراؤه وتنوعت صوره وأخيلته في العصر العباسي وهذا يدل على ما ألم بالقصيدة الخمرية من تطور واتساع , فقد كان الشعراء يهتمون بإبراز الخصائص الفنية للخمريات من خلال تصويرهم لألوانها وروائحها ومذاقها وأوانيها ومجالسها وتأثيرها على الشاربين.

*تميزت خمريات زعيم الشعر الخمري في العصر العباسي أبي نواس بـ:

-1ترف الإحساس

-2بساطة التعبير

-3سهولة اللغة

وهذا يدل على أنها تطورت فنيا وجماليا

يقول أبو نواس في رده على النظام وهو أحد زعماء المعتزلة , حين لامه على شرب الخمر:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء *** وداوني بالي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها *** لو مسها حجر مسته سراء

أما غرض الفخر كاد يخلو من هذا العصر إلا ما نذر لأن معظم شعراء هذا العصر لم يكونوا عربا لينتسبوا إلى قبائل عربية , وما كانوا من أسرة عريقة وانعدام العصبيات القبلية والمذهبية والجنسية وإنما ورد من تفاخر بالأنساب ما كان إلا تعريضا بأقوام أخرى ،ونذكر منهم أبي فراس والمتنبي. وأجمل ما ذكر في الفخر كان لعبد الله ابن المعتز إذ يقول:

إذا شئت أوقرت البلاد حوافرا *** وصارت ورائي هاشم ونزار

ومنه إذا رجعنا إلى معظم دواوين الشعر في العصر العباسي ثم دققنا في المقاييس الأدبية التي وضعها علماء البلاغة ونقده الشعر أمثال قدامة والأصفهاني والأمدي والعسكري والثعالبي والجرجاني وابن الأثير وإضرابهم نرى أن تطور الشعري في العصر العباسي لم يتعد في الأغلب صناعة الشعر.